

الإنسان وفي كل المخلوقات وفي العالم المادي، فتسود الواحدية إذ تُلغى المسافة بين الخالق ومخلوقاته ويصبح الخالق ومخلوقاته كياناً واحداً، ويردُّ الكون بأسره إلى مبدأ واحد فتُلغى المسافات وتُسد الشغرات، ويصبح الكون كياناً عضويًا صلباً (أو ذرياً مفتتاً) تسوده الواحدية المادية. وهنا يصبح الإنسان جزءاً لا يتجزأ من كل أكبر منه، يسمَّى في وَحْدَةِ الوجود الروحية «الإله»، ويسمَّى في وَحْدَةِ الوجود المادية «الطبيعة/ المادة». وفي هذا الإطار يفقد الإنسان ما يميِّزه من بقية الكائنات، وتضيع الحدود بين الخير والشر، وبين الدال والمدلول .

الواحدية والثنائية والإثنينية:

وجود المسافة بين الخالق والمخلوق يعني أن العالم ليس واحدياً، أي أنه لا يمكن أن يُردُّ إلى أصل أو جوهر واحد. وعكس الواحدية هو الثنائية (الفضفاضة)، وهي الإيمان بوجود أكثر من مبدأ وأكثر من جوهر في العالم، أي أن الثنائية هي أساس التعددية. ونحن نذهب إلى أن الثنائية الأساسية هي ثنائية الخالق والمخلوق، والتي تفترض أسبقية الخالق على كل ما هو مخلوق، وأن الخالق لا يمكن أن يُردَّ إلى مخلوقاته أو يلتحمَ بها أو يذوب فيها. وقد وصفناها بأنها ثنائية فضفاضة؛ لأن الله مفارق للعالم ولكنه لم يهجره. وينتج عن الثنائية الأساسية ثنائيات أخرى مثل ثنائية الأرض والسماء والإله والإنسان. وفي الإطار التوحيدي تظل هذه الثنائية ثنائية تكاملية فضفاضة، لكن في الإطار الحلولي. فإنها تتحول إما إلى ثنائية صلبة حيث يقف كل طرف في الثنائية في مقابل الطرف الآخر (إثنينية) أو تنحل إلى واحدة حيث يهيمن أحد أطراف الثنائية على الطرف الآخر. ومن أهم الثنائيات الناتجة عن الثنائية الأساسية: ثنائية الإنسان والطبيعة، التي تفترض انفصال الإنسان عن الطبيعة، وأسبقيته وأفضليته عليها، بسبب وجود المرجعية المتجاوزة - أي الإله - الذي يستخلفه في الأرض، ولكنها تفترض أيضاً وجوده فيها، واعتماده عليها، واحترامه لها. . فهو، وحده، ليس مركز الكون. كل هذا يؤكد انفصال الإنسان عن الطبيعة وإمكانية تجاوزها وتجاوز حدودها المادية .